بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله تباركت أسماؤه والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين.

إن هذا البحث جهد متواضع وفقني المولى عز وجل إليه ، ليكون دعوة إلى وعي الجمال الفني القرآني بطريقة جديدة ، تستبعد التقليد وتنأى عن الترديد ، وهو على كل حال دعوة أقدِّمها إلى متذوقي البيان القرآني والنص الأدبي على العموم.

وقد امتاز البحث بالجمع بين ثنائيات متعددة مهمة في البحث الأدبي ، فهناك ثنائية المعيارية والذاتية، أو ما يسمى بالدراسة الموضوعية والوصفية في تحليل النص الأدبي ، وفقد اتَّكأ البحث على ركيزة فكرية دينية وجمالية متنوعة ، وخلص منها إلى التأمل الذاتي ، تبعاً لمناهج تؤكد مبدأ التأويل والاحتمال.

والثنائية الثانية هي الموروث البلاغي القديم والمعارف الأدبية المعاصرة ، والجمع بين التطلع إلى التفسير الجمالي القديم والتفسير الجمالي المعاصر القويم ، فكان لدى البحث رحلة في الزمان بالعودة إلى

الماضي ، ورحلة في المكان بالإفادة من جهود منظّرين فنيين جماليين ونقّاد عرب وغربيين لإبراز الخيّر في سبيل خدمة النص الأعلى القرآن الكريم.

والثنائية الثالثة هي الدين والفن ، إذ أكّد البحث أن المختصين بالعلوم الدينية لا يعجزون عن التأمل الجمالي لنص القرآن الكريم وغيره ، فأرجو أن أكون سادّاً لثغرة في الساحة الأدبية ، إذ نجد على الأغلب مختصاً بالعلوم الشرعية لا يستطيع أن يقدم دراسة جمالية جادة عميقة ، ونجد متقناً للقضايا الفنية يصب جهده كله في الأدب الإنساني ، ولا يعرف شيئاً عن الجمال القرآني أو لا يُعنى به ، فالتقليد عند الكثير من المتدينين ، والتجديد عند كثير من غير المتدينين ، وهذا تقصير في فهم القرآن ودعوته إلى الجمال والخير والحق.

وسيتبيّن للقارىء أن البحث أثبت للنظر الموضوعي أن الكلمة القرآنية اشتملت على ثنائية العقل والعاطفة ، فهي إقناع للعرفان وإمتاع للوجدان ، بتوازن نجده في الشريعة الإسلامية عامة.

وقد شمل البحث وسائل الوعي الجمالي ، فتحدث عما يتصل بالمدارك البصرية والسمعية واللمسية والذوقية والشمية ، فكان أقرب إلى المنهج النفسي ، لكنه تطلع إلى منهج تكاملي ليفيد من كل منهج يقدم عوناً في كشف الجمال القرآني.

وهكذا ركز البحث على الحضور الحسي الساكن والمتحرك ، وعلى الوحدات اللغوية وصيغها والعلاقات اللغوية التي تجّلي الموقف والتعبير الراقي عنه ، فكان رحلة في أعماق النص القرآني ، في مفرداته وعلاقاته اللغوية ، وطبقته الحسية وسماته الروحية ، وخصوصيته الغيبية الدينية ، وتجليها في الخيال البشري. . .

فالبحث عبارة عن نظر في سياق الوحدة اللغوية ولحاقها وسياقها ،

وحافّاتها المتّسمة بالخصوصية الدينية ، وهذا نظر أفقي ، إنه رحلة في نسيج الكلمة والامتزاج بذرات روحها والإنصات إلى خفقانها ، بدلاً من وضع «أكداس» من النقول الجافة ، وثمة نظر عمقي يفيد من التاريخ الحسي للوحدة اللغوية وآفاقها النفسية ، وفق المناهج الأدبية الجديدة.

ولعل هذا العمل يسهم في نهضة الأدب الإسلامي المدعوّ إلى النهل من التقنية الفنية المعاصرة ، لتقديم المفاهيم الإسلامية العالية في قوالب جميلة ممتعة ومقنعة في آن واحد ، فإذا كان النظر إلى الخطاب القرآني وهو أعلى نص قد اتّكأ في البحث على الآلية الفنية المعاصرة ، فإن الأفكار الدينية عموماً مدعوة إلى هذه الجدة والابتكار ، فلعل البحث الجمالي للقرآن يشكّل بحقّ منعطفاً واضحاً في سيرورة الأدب الإسلامي الذي تسري في كا، مفاصله معاني القرآن الكريم الذي يتطلب كشف إعجازه ـ أيّما كان نوع الإعجاز ـ خدمة وافية يحسنُ أن تكون متقنة ، إذ لا يكفي الإخلاص وحده ، ونسأل الله عز وجل أن يقبلنا في خدمة القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ويقبل هذا العمل ، ويجعله في صالح الأمة العربية والإسلامية.

د. أحمد زكريا ياسوف

أستاذ علوم القرآن والحديث

بجامعة حلب